

قال الغريب: بالطبع لا أرضى!

ثُمَّ طَلَبَ الْقاضِي مِنْ رَجُلٍ أَخْرَانِ يَتَقدَّمُ، لِيَسْتَمِعَ إِلَى شَكْوَاهُ، فَتَقدَّمَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْسَّنَنِ،

وقال هذا الشیخ: أيها القاضی، أصنفني من هذا الجار، إنه يُؤذنی في اللیل والنهار، لقد نَفَضَ عَلَیَّ حیاتی، وحرَضَ عَلَیَّ أَبْنَائی، وكاد يُقْدِنِی سعادتی في مَنْزِلِی.

تعجب الرَّجُلُ الغَرِيبُ، مما قاله الشیخ: فهو لا يکاد يراه في الأسبوع إلا مرّة، وهو لا يذكر أنه تدخل في شُؤون حیاته، ولا کلم أولاده. نظر القاضی إلى الغریب وقال: هل هذا الكلام صحيح؟

قال الغريب: أيها القاضی، إنني لا أذكر شيئاً مما يقوله هذا الرجل، فهل لديك دليل؟ قال القاضی للمشتکی: هل لديك دليل أيها الرجل؟

قال الشیخ: نعم، أيها القاضی؛ إن هذا الرجل يمنع عنی الشمس والهواء. قال القاضی: هات دليلك.

قال الشیخ: من مالک الشمس والهواء؟

قال القاضی: الله رب العالمين، خالق كُلُّ شيءٍ.

قال الشیخ: فكيف إذن يمنعني هذا الرجل منهُما؟! قال القاضی: كيف؟

قال الشیخ: لقد رفع بناه، وأعلى جدرانه دون أن يطلب مني إذناً بذلك. وقد منع عن داري المُتواضع ضوء الشمس، وحجب عنی الهواء العليل.

قال القاضی: ثم ماذا أيها الرجل العجوز؟

قال الشیخ وقاد دمعت عیناه: إنه يُؤذنی، ويُشَعِّرُنِی بِفَقْرِی واحْتِیاجِی. قال القاضی: وكيف هذا؟

قال الشیخ: إنه يطعم الطعام، ويُشَوِّي اللحم، فتتشرُّ رائحة الشوأء، وتتطاول رواحة الطعام، مما يجعلنا نشتاهي، ونَزَهُدُ فيما في أيدينا من طعام قليل. وجاري لا يتذكر أتنا أيضاً بشرّ مثله، لا يُفكّر - ولو مرّة واحدة - أن يبعث لنا شيئاً مما طبخ، بدا الحُزُنُ على وجه القاضی، وتاثر الحاضرون، واستحیا الرجل الغریب من کلام الشیخ.

نظر الحاضرون إلى وجه الرجل الغریب، وقد احمرّ حَجاً، ونظروا إلى عیني الشیخ، وقد ملأهما الدُّموع، والتقت القاضی إلى الغریب يسألة:

هل ما قاله الجيران صحيح؟

أجاب الغریب بصوت مُنْخَضٍ: نعم، وإنني أستغفرُ الله مما فعلت.

قال القاضی: إن لجيرانك عليك حقوقاً كثيرة بيَّنتها الشَّرِيعَةُ. وكان رسولنا الكريم ﷺ يوصينا بالجار دائمًا، فما بالك لا تقي بحقوق الجيران؟

(يُحْيِي حاجي يُحْيِي بِتَصْرِيفِ يَسِيرٍ مِنْ قِصَصِهِ «قاضي الجيران وحكایات آخری»)

الْوَحْدَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةُ

طبقاتُ الْأَصْدِقَاءِ

القراءة المكثفة

استعمالات "لَا"

القواعد (أ)

إِلَى الشَّبَابِ

فهم المسموع (القسم الأول)

طرفتان

فهم المسموع (القسم الثاني)

كاد وآخواتها

القواعد (ب)

فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ

القراءة الموسعة

طبقات الأصدقاء

خُذْ قَلَمًا وَرِزْقًا، وَحاوَلَ أَنْ تَكْتُبَ أَسْمَاءَ أَصْدِقَائِكَ جَمِيعاً أَيْمَانَ الشَّابِ، ثُمَّ صَنَّفُهُمْ أَصْنافاً؛ تَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ لَيَسُوا أَصْدِقَاءَ عَلَى التَّحْقِيقِ. فَمِنْهُمْ رَفِيقٌ تُقَابِلُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَمَامَكَ فِي السَّيَارَةِ، أَوِ الْحَافَلَةِ، يُحِبِّيكَ فَتُحِبِّيهِ. وَمِنْهُمْ رَفِيقُ الْعَمَلِ، فَرَرِي مَكْتبَةً بِجَانِبِ مَكْتبَكَ.

إِذَا أَرْدَتِ الصِّفَةَ الَّتِي تَجْمَعُ خِلَالَ الْخَيْرِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي يُصْلِحُ الْأَعْمَالَ كُلُّهَا، فَاَكْتُبْ أَسْمَاءَ أَصْدِقَائِكَ وَأَصْحَابِكَ، وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: هَلْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمْ هُوَ غَيْرُ صَالِحٍ. وَهَلْ هُوَ مُخْلِصٌ لِصَدِيقِهِ، أَمْ هُوَ لَا يَهْتَمُ إِلَّا بِنَفْسِهِ. وَهَلْ هُوَ مُؤْنِسٌ لِجَلِيسِهِ، أَمْ هُوَ مُرْعِجٌ؟ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، رَأَيْتَ الْأَصْدِقَاءَ أَنْواعاً:

- وَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَائِمٌ مُصَلٌّ لَهُ سَمْتُ الْمُقْتَنِيَّ، وَزَيْدُ الصَّالِحِينَ، وَلِكَنَّهُ يَتَّخِذُ ذَلِكَ سُلَّمًا لِلدُّنْيَا وَشَبَكَةً لِلْمَالِ، وَوَجَدْتَ حَقِيقَتَهُ تُكَذِّبُ ظَاهِرَهُ، إِذَا عَاهَدْتَهُ خَانَكَ، وَإِنَّ عَامِلَتَهُ غَشَّكَ.

- وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ يَبْدُو أَنَّهُ صَادِقُ الْمُعَامَلَةِ، أَمِينُ الْيَدِ، لِكَنَّهُ لَا يَصُومُ، وَلَا يُصَلِّي، وَلَيَسَ لَهُ مِنَ الدِّينِ إِلَّا أَسْمَهُ؛ فَهُوَ يُفْسِدُ عَلَيْكَ دِيَتَكَ.

- وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَالِحٌ مُتَعَبِّدٌ، أَمِينٌ صَادِقُ الْمُعَامَلَةِ، وَلِكَنَّهُ صَاحِبُ شَهْوَةٍ، لَا حَدِيثٌ لَهُ إِلَّا عَنْهَا، فَهُوَ يُؤْذِنِكَ بِإِثَارَةِ الْخَامِدِ مِنْ رَغْبَتِكَ.

- وَوَجَدْتَ مَنْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمِينٌ فِي مُعَامِلَتِهِ، لِكَنَّهُ لَا يَنْفَعُ صَدِيقًا، وَلَا يُسْعِدُ صَاحِبًا.

- وَوَجَدْتَ مَنْ يَحْدُمُ صَدِيقَهُ وَيَسْرُهُ، لِكَنَّهُ لَا يُبَالِي فِي خِدْمَتِهِ وَمَسَرَّتِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ دِينِهِ، فَيَخُونُ مِنْ أَجْلِهِ أَمَانَتَهُ؛ فَيَاخُذُ بِيَدِكَ حَتَّى يُدْخِلَكَ مَعَهُ جَهَنَّمَ.

- وَوَجَدْتَ مَنْ هُوَ أَحْمَقُ، أَوْ فَاحِشٌ.

- وَوَجَدْتَ مَنْ يُصَادِقُكَ لِحَسِيبِكَ، أَوْ مَنْصِبِكَ، فَهُوَ يَتَّخِذُكَ زَيْنَهُ لِيَوْمِهِ، وَعُدَّةَ لِغَدِهِ، فَأَنْتَ عَنْهُ حِلْيَةٌ تُجَمِّلُ الْجَدَارِ.

- وَوَجَدْتَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ، أَمِينٌ فِي مُعَامِلَتِهِ، صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ، يَنْفَعُ صَدِيقَهُ، وَيُسْعِدُ صَاحِبَهُ، فَاظْفَرَ بِهِ.

- وَالخُلاصَةُ أَنَّ الْأَصْحَابَ خَمْسَةٌ: فَصَاحِبُ كَالْهَوَاءِ لَا يُسْتَغْنِيَ عَنْهُ. وَصَدِيقُ الْغَدَاءِ لَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِهِ، وَلِكُنْ رُبَّمَا سَاءَ طَعْمُهُ، أَوْ صَعْبَ هَضْمُهُ. وَصَاحِبُ كَالدَّوَاءِ مُرْكَبَهُ، لِكُنْ لَا بُدَّ مِنْهُ أَحْيَانًا، وَصَاحِبُ الْحَمْرِ تَلَذُّ لِشَارِبِهَا، وَلِكُنْهَا تُودِي (تَذَهَّبُ) بِصَحْتَهِ وَشَرَفِهِ. وَصَاحِبُ كَالْبَلَاءِ.

- أَمَّا الَّذِي كَالْهَوَاءَ فَهُوَ يُقْيِدُكَ فِي دِينِكَ، وَيَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْغَدَاءِ، فَهُوَ الَّذِي يُقْيِدُكَ فِي الدِّينِ وَالدِّينِ، لِكَنَّهُ يُرْعِجُكَ أَحْيَانًا بِنَظَرِهِ، وَجَفَاءَ طَبْعِهِ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالدَّوَاءِ، فَهُوَ الَّذِي تَضْطَرُكَ الْحاجَةُ إِلَيْهِ، وَيَنْتَلُكَ النَّفْعُ مِنْهُ، وَلَا يُرْضِيَكَ دِينُهُ، وَلَا تُسْلِيَكَ عِشْرَتَهُ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْحَمْرِ، فَهُوَ الَّذِي يُبَلِّغُكَ لَذَّتَكَ، وَيُنْيِلُكَ رَغْبَتَكَ، وَلِكُنْ يُفْسِدُ خَلْقَكَ، وَيُهْلِكُ آخِرَتَكَ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ كَالْبَلَاءِ، فَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَا وَلَا دِينٍ، وَلَا يُمْتَعَكَ بِعِشْرَةِ، وَلَا حَدِيثٍ، وَلِكُنْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ صَحْبَتِهِ.

عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ الدِّينَ مِقِيَاسًاً، وَرَضَا اللَّهِ مِيزَانًاً، فَمَنْ كَانَ يُقْيِدُكَ فِي دِينِكَ، فَاسْتَمْسِكْ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمْنُ لَا تَقْدِرُ عَلَى عِشْرَتِهِ. وَمَنْ كَانَ لَا يُرْضِيَكَ فَاقْتُرِكُهُ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضْطَرًا إِلَى صُحْبَتِهِ، فَتَكُونُ هَذِهِ الصُّحْبَةُ صَرْوَرَةً، بِشَرْطٍ أَلَا تُجاوِزَ فِي هَذِهِ الصُّحْبَةِ حَدَّ الضرُورَةِ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَضْرُكَ فِي دُنْيَاكَ، وَلَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ، وَلِكَنَّهُ ظَرِيفٌ مُمْتَعٌ، فَاقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الْاسْتِمْتَاعِ بِظَرِيفِهِ، عَلَى أَلَا تَمْنَعَكَ هَذِهِ الصُّحْبَةُ مِنِ الْوَاجِبِ، وَلَا تَمْشِي بِكَ إِلَى عَيْثٍ، أَوْ إِنٍْ.

(بِتَصْرُفِ مِنْ كِتَابِ صُورٍ وَخَوَاطِرٍ لِلشِّيخِ عَلَيِ الطَّنَطاوِيِّ)

قراءة موسعة

في الأرض المقدسة

(١) سأله في شيءٍ من الاستغراق، ورأني أعدُّ حقائقي للسفر إلى مكة المكرمة، لأقوم بالعمرَة: أحًّا ستسافر لأداء العُمرَة؟ أحًّا ستذهب إلى مكة؟ قلت له في هدوءٍ: نعم يا صديقي، سأسافر إلى مكة، وسأقوم بِأداء العُمرَة. أردتُ أوَّلًا أنْ أقضِي مُنسكًا من مناسك الإسلام، وأريد ثانيةً أنْ أرى وأمس الأَرْض التي أبَتَتْي رِمالُهَا. إني أشعر في أعماقِ نفسي، أنَّ دمي منْ تلك الرِّمال، منْ جبلِ أحُد، من ساحةِ بدرٍ، منْ غارِ حراء، منْ ماءِ زَمَرَة. كُلُّ أولئك اخْتَلطَتْ، فَكَوَّتْ هذا الإنسان الذي يُسمَى عبدَ المُعْنَى. وسافرتُ إلى مكة.

(٢) كُنْتُ في السيارة منْ جدَّة إلى مكة المكرمة. وكُنْتُ أحاول في سَدَاجَة، أنْ أطوي الأرض طيًّا، فلا أستطيع. وأطَّلَتْ عَلَيْنا مكة المكرمة، فصَرَّتْ أحوالُ في سَدَاجَة أنْ أخترق بِعَيْنِي الْبَنَيَاتِ الْعَالِيَّاتِ، والشَّوَارِعِ الْمُزَدَحَّةِ، وأنْ أرى جُدرانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وأنْ أَلْمَسْ سَتايرَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ فلا أستطيع. ما أصعبَ أنْ يُسْبِقَكَ قلبُكَ إلى بَيْتِ الْأَحِيَّةِ، ويَقْبَلْ جَسْدُكَ أَسِيرَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ! كنتُ أخترق لَهْفَةً وَثَطْلَعًا. وما فائدةُ أنْ تَحْتَرِقَ قَبْلَ أَنْ تَصلَ؟ وَصَلَنا، وَكَبَرْنا اللَّهُ تَكْبِيرًا: اللَّهُ أَكْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ.

إنَّها الكلماتُ التي تُسِيرُ طَرِيقَنا إلى اللهِ، إلى الحقِّ والقوَّةِ. كانَ حَرَمُ مَكَّةَ يَلَالًا. ما أصعبَ أنْ يُسْبِقَكَ قلبُكَ إلى بَيْتِ الْأَحِيَّةِ!

(٣) هاهُنا كَانَتْ بِئْرُ زَمَرَةَ شَجَّ، وَتَكَادُ تَغِيَّضُ، فَحَفَرْنَاها، فَتَدَقَّتْ. هاهُنا كَانَتِ الْكَعْبَةُ تَكَادُ تَسْدَاعِي، فَحَمَلْنَا إِلَيْها الْأَحْجَارَ وَالطِّينَ وَأَعْدَنَا بِنَاءَهَا مِنْ جَدِيدٍ. هاهُنا كَانَتِ الْكَعْبَةُ عَارِيَّةً، فَنَسْجَنَا لَهَا رِدَاءَهَا مِنْ عَيْونِنَا وَكَسُونَاهَا. هاهُنا كَانَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَسْجُدُ لِلَّهِ، فَكَانَ الْكُفَّارُ يُزَاحِمُونَهُ، وَيُزَعِّجُونَهُ، وَيُلْقَوْنَ عَلَيْهِ - وَهُوَ ساجِدٌ - التُّرَابَ وَالشَّوْكَ، فَأَزَلْنَا عَنْهُ مَا رَمَاهُ بِهِ الْكُفَّارُ، وَانتَصَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّنَا. وَطُفْنَا بِالْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ. ما أكْثَرَ النَّاسِ الَّذِينَ طَافُوا بِهَا قَبْلَنَا، وَالذِّينَ يَطُوفُونَ الْآنَ بِهَا مَعْنَى. إِنَّكَ تَشْعُرُ وَأَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الرِّحَامِ، أَنَّكَ أَصْبَحْتَ أَشَدَّ قُوَّةً، وَأَمْضَى عَزِيمَةً، وَأَكْثَرَ ارْتِبَاطًا بِالإِنْسَانِيَّةِ. وَتَمَ الطَّوَافُ، وَمَضَيْنَا لِلسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. مِنْ أَينْ جاءَتِي هَذِهِ الْقُوَّةُ الدَّافِقَةُ؟

(٤) كُنْتُ أَسِيرُ فِي بُطْءٍ، وَأَعْتَمِدُ عَلَى عُكَارٍ، لَأَنِّي كُنْتُ أُعَانِي بِقَایَا الشَّلَلِ. أَمَّا الْآنَ فَأَنَا أَطِيرُ طَيْرَانًا، أَجْرِي جَرِيًّا، أَسْبِقُ الشَّبَابَ، وَأَسْعَى وَأَسْعَى فِي فَرَحٍ وَنَشَاطٍ، وَأَرْدَدَ كَلِمَاتِ اللَّهِ، وَأَدْعُو دُعَواتِ، يَفِيَضُ بِهَا جَنَانِي، فَتَسْلِيلُ عَلَى لِسَانِي.. لَكَانَهَا يَتَبَوَّعُ مَاءً جَفَّ ذَاتَ يَوْمٍ، وَهَا هُوَ ذَا الْآنَ يَعُودُ غَزِيرًا، لِيَتَدَقَّ مِنْ جَدِيدٍ.. أَدَّنَا الصَّلاةَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ حَلَقَاتٍ حَلَقَاتٍ. وَفَجَأَةً خُلِّيَ إِلَيَّ أَنَّ الْحَلَقَاتِ تَنْدَاحُ